

مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon - Tripoli: Branche P.O. Box Abou Samra - www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com



www.jilrc.com ISSN 2311-5181

العام السابع - العدد 65 - يونيو 2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرفة العامة / أ.د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: د. جمال بلبكاي

www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

هيئة التحرير:

- أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
 أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة 2، الجزائر)
 د. بوطي محمد نورالدين (المدرسة العليا للأساتذة، القبة، الجزائر)
 د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)
 د. يزيد شويعل (جامعة المدية، الجزائر)

رئيس اللجنة العلمية: د. صونيا عيواج (جامعة باتنة 1، الجزائر)

اللجنة العلمية:

- د. باللموشي عبد الرزاق (جامعة الوادي، الجزائر)
 د. بن الأخضر محمد (جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر)
 د. جاب الله يوسف (جامعة المدية، الجزائر)
 د. زين العابدين عبد الحفيظ (جامعة خميس مليانة، الجزائر)
 د. سامية شينار (جامعة باتنة 1، الجزائر)
 د. عبد الله ملوكي (جامعة سطيف 2، الجزائر)
 د. علّة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)
 د. قاسمي وفاء (جامعة باجي مختار، عتّابة، الجزائر)
 د. نجوى نايف عبد النبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)

أعضاء اللجنة التحكيمية الاستشارية لهذا العدد:

- أ.م. علاء كامل صالح العيساوي (جامعة البصرة، العراق)
 د. إخلاص محمد عبد الرحمن (جامعة الجزيرة، السودان)
 د. أميرة سامي محمود حسين (مصر)
 د. بلمداني نوال (جامعة معسكر، الجزائر).
 د. بن حجوبة حميد (جامعة مستغانم، الجزائر)
 د. بوطي محمد نورالدين (المدرسة العليا للأساتذة، القبة، الجزائر)
 د. حُسام موسى محمد شوشة (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)
 د. حسن زريبة (جامعة قفصة، تونس)
 د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون)
 د. سماح بلعيد (جامعة الشادلي بن جديد الطارف، الجزائر)
 د. علي سلطاني العاتري (جامعة تبسة، الجزائر).
 د. مزاراة نعيمة (جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر)
 د. مسعودي طاهر (جامعة الجلفة، الجزائر)

التدقيق اللغوي:

- د. عبلة حسن (جامعة لينكولن، نبراسكا، الولايات المتحدة الأمريكية).
 د. فانتن عدّي (جامعة قسنطينة 1، الجزائر).

شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافق فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها، باللغة العربية والإنجليزية.
 - البريد الإلكتروني للباحث.
 - ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12، باللغة العربية والإنجليزية.
 - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خاليًا من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
 - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
 - اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
 - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفًا مختصرًا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة إلكترونية حصراً على عنوان المجلة :

social@journals.jilrc.com

الفهرس

الصفحة

- 7 • الافتتاحية
- 9 • صيانة وترميم التراث الأثري من هواية إلى علم قائم بذاته، قاضي محمد (جامعة طاهري محمد بشار)
- 27 • قضايا لاجئي الحروب في الخطاب الإعلامي الأوروبي... السياقات والضوابط ، منير طبي (جامعة العربي التبسي)
- 45 • رقمنة الإبداع الثقافي من أجل ثقافة ديمقراطية، نزيهة مصباح السعداوي (جامعة تونس)
- 57 • رقصة أحواش : بين عراققة الذاكرة التاريخية ورهانات الهوية، خديجة الزاهير (جامعة القاضي عياض) - محمد اوها (جامعة الحسن الثاني)
- 69 • تطبيقات المنهج التطوري على التراث الإسلامي من المستشرقين إلى القراء الحديثين (دراسة تحليلية نقدية) بن السايح خديجة - ميلود حميدات (جامعة الأغواط)
- 89 • أهمية التراث الثقافي ودوره المؤثر في التنمية من منظور العلوم الاجتماعية، عبد الكريم جندي (جامعة ابن طفيل)
- 105 • الأنماط السلوكية (أ، ب، ج) وعلاقتها بفعالية التدريس لدى أساتذة التعليم الابتدائي: دراسة ميدانية بمدينة المدية، حاج كولة عقيلة (جامعة لونيبي علي البليدة 2)
- 127 • نظرية الذات لكارل روجرز، اشريف مزور (أكاديمية فاس)
- 137 • دور الوقف الإسلامي في تفعيل الرعاية الصحية: (البيمارستانات في المغرب والأندلس)، خديجة خيرى عبد الكريم خيرى (جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، السودان)

مقالات باللغات الأجنبية

- 155 • Analysis of University Students' Errors in English Language Prepositions (A Case Study of 1stYear English Language Students, the Faculty of Languages & Linguistics), Sharif Yousif KhatirAso, Sudan University of Science and Technology, Abdallah Adam Osman (Algazoly/University of Zalingei, Sudan)

□ الافتتاحية

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم :

7

يأتي العدد الخامس والستون (65) من مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية حاملا بين ثناياه جملة من البحوث التي من شأنها أن تساهم في إثراء البحث العلمي وتسليح المهتمين بقضايا العلوم الإنسانية والاجتماعية بسندات وخلفيات معرفية قائمة على منظور علمي موضوعي يطرح جملة من الإشكاليات المعرفية بغية مد جسور التواصل بين الباحثين وتشكيل رؤى علمية و مرجعية متكاملة تتوافق مع أهدافها .

لقد ساهم انفتاح المجلة على مختلف الباحثين من مختلف أقطار الوطن العربي في تشجيع الراغبين في نشر بحوثهم ومقالاتهم دون أي حواجز أو عوائق ووفق شروط علمية وموضوعية تهدف بواسطتها إلى خدمة البحث العلمي الجادّ والسمو بالأمانة العلمية وهو طموح المجلة دائما. ولعل هذا العدد يوضح جودة وتنوع البحوث في مختلف التخصصات قدّمها باحثون وأكاديميون من دول عربية مختلفة على غرار الجزائر، السودان، المغرب، تونس استجابة لاحتياجات القارئ واهتماماته البحثية.

وقد اتسمت بالدقة والموضوعية وجدية الطرح. ولا يفوتنا أن نوصل شكرنا إلى هيئة المجلة ومحكميها على جهودهم المبذولة في خدمة البحث العلمي فهم رسل الغايات العلمية ونتمنى دوام فضلهم ورعايتهم. كما لا يفوتنا أن ندعو المنشغلين بالبحث العلمي للمساهمة بمنجزاتهم العلمية وتقديم إضافاتهم للأعداد القادمة في إطار تخصص المجلة .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،

رئيس التحرير / د. جمال بلكاي

**تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز
© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي**

دور الوقف الإسلامي في تفعيل الرعاية الصحية: (البيمارستانات في المغرب والأندلس)

The role of the Islamic Waqf in achieving health care (Bimaristans in Al-Maghrib and Al-Andalus)

د. خديجة خيري عبد الكريم خيري / جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، السودان

Dr.khadiga khairy abdalkareem khairy/University of the Holy Qura'n and Taseel of science ,Sudan

Abstract:

The Waqf is one of the good deeds that Islam has prescribed and encouraged to donate to, in order to satisfy Allah; following the example of the Prophet and the righteous companions. The Waqf is a feature of the Islamic society and one of its important social cooperative systems; it took various forms and covered different fields, throughout the Islamic history, aiming at serving the needs of the Islamic communities.

The field of health care is one of the important areas in which the Waqf played a prominent role in providing health services to patients on the one hand, and advancing medical science and education on the other. Through the Waqf, health institutions such as Bimaristans (hospitals) were established, and funds have been allocated to these hospitals, in order to meet their needs and to ensure the continuity of their services. These hospitals have not only provided treatment and medicine, but have also developed into educational centers that have demonstrated the scientific and practical superiority of Muslims.

Keywords: Waqf - Health Care - Bimaristans

ملخص

إن الوقف من الأعمال الصالحة التي شرعها الإسلام، ورغب فيها بالإنفاق في أوجه البر والخير ابتغاءً لمرضاة الله، واقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبالسلف الصالح، ويعتبر الوقف سمة من سمات المجتمع الإسلامي، وأحد أنظمتها التكافلية الاجتماعية المهمة، تنوعت إسهاماته- في التاريخ الإسلامي- وتعددت أنماطه وأغراضه بما يخدم احتياجات المجتمعات الإسلامية.

ولعل مجال الرعاية الصحية من المجالات المهمة التي كان للوقف دور بارز ومشهود في تقديم الخدمات الصحية للمرضى من جهة، والنهوض بعلم الطب وتعليمه من جهة أخرى. فعن طريق الأوقاف أنشأت المؤسسات الصحية الوقفية كالبیمارستانات (المستشفيات) ووقفت عليها الأموال لتلبية احتياجاتها، ولضمان استمرارية تقديم خدماتها، ولم تقتصر تلك المستشفيات على تقديم العلاج والدواء، بل تطورت لتصبح مراكز تعليمية أظهرت تفوق المسلمين علمياً وعملياً.

الكلمات المفتاحية: الوقف- الرعاية الصحية- البیمارستانات.

مقدمة:

إن الصحة من أعظم النعم- بعد نعمة الإيمان- التي منّ الله بها على عباده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)¹. فالإسلام اهتم بصحة الإنسان وقائياً وعلاجياً، كما حث على العناية بالمرضى، ورعايتهم، وعلاجهم، وعبادتهم، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم حتى يتمثلوا للشفاء، ومن ثم فقد حظي المريض في الإسلام بكثير من الرعاية والعناية والاهتمام، باعتباره من أكثر فئات المجتمع حاجة إلى المساعدة والعون، وخاصة إذا ما كان فقيراً ومحتاجاً.

ولقد لعبت الأوقاف دوراً بارزاً في مجال توفير الرعاية الصحية للمرضى، فالمتتبع لتاريخ الطب في الإسلام، يلاحظ تلازماً بين نمو وتطور الأوقاف وانتشارها واتساع نطاقها من جهة، وبين تقدم وتطور الطب علمياً ومهنياً، حيث يكاد يكون الوقف هو المصدر الأول للإنفاق على المستشفيات والمدارس والمعاهد الطبية، وغيرها من الأمور المتعلقة بالصحة.

ويرجع كثير من المحللين للتاريخ الإسلامي التقدم الذي شهدته البلاد الإسلامية في علم الطب والصيدلة والكيمياء إلى نظام الوقف الإسلامي. وبالرغم من الدور الكبير الذي لعبته الأوقاف في العهد الإسلامي السابق

¹ صحيح البخاري، باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا يعيش إلا عيش الآخرة، ج5، ص2357، (حديث رقم:6049).

تراجع دور الوقف في حياة المسلمين في الوقت الحاضر، في حين تطور وازدهر عند غيرهم، وخاصة في دول غرب أوروبا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، والتي اهتمت بمؤسسة الأوقاف (Endowment) وخاصة في النواحي التعليمية- وبالتحديد في التعليم الجامعي-.

واليوم يعتبر كثير من الباحثين نظام الوقف أحد الأسس المهمة لهضة المجتمعات المسلمة، بأبعادها المختلفة، الاجتماعية، والصحية، والاقتصادية، والعلمية... ولذلك اتجهت الأنظار إليه في محاولة لإعادة دوره التنموي باعتباره البذرة الصحيحة لبداية نهضة الأمة الإسلامية في شتى نواحي الحياة.

الوقف والرعاية الصحية

الوقف (الحبس) نوع من أنواع الصدقات التي حثَّ الله عز وجل عباده على فعلها، وندب للقيام بها، يتقرب العبد بها إلى الله سبحانه وتعالى، بالإنفاق في أوجه البر والخير المتنوعة، سواء أكان وقفاً على جهة من الجهات العامة كالفقراء، وابن السبيل، وطلبة العلم..... أم كان وقفاً على القرابة والذرية¹.

وللوقف أثر عظيم في رعاية حياة الفرد والمجتمع، وذلك لما تقوم به مؤسساته من تلبية احتياجات مختلف فئات المجتمع المسلم، محققاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)².

والدارس لتاريخ الوقف في الإسلام، يقف على الدور الكبير الذي لعبته الأوقاف في تنمية المجتمعات الإسلامية في جميع جوانب الحياة؛ الصحية، والعلمية، والاجتماعية، والاقتصادية،... فمن خلال الوقف ازدهرت جوانب كثيرة من جوانب الحضارة الإسلامية؛ فشيدت البيمارستانات (المستشفيات) في الحواضر الإسلامية، ووفرت العلاج للمرضى، وبنيت المساجد والمدارس والمكتبات والأربطة والحصون، وتم الصرف على متطلبات الجهاد من سلاح وخيول وفك الأسرى، إلى غير ذلك من آثار عظيمة عم الوقف بنفعها بلاد المسلمين.

الرعاية الصحية: المفهوم والمعنى:

الرعاية الصحية مصطلح مركب من لفظين "الرعاية" و "الصحة"، والرعاية في اللغة بمعنى الحفظ والعناية. أما الصحة فخالق السقم، فهي ذهاب المرض³. وقد عرّفت منظمة الصحة العالمية WHO الصحة

¹ محمد عبيد عبد الله الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ج1، بغداد، 1977م، ص33.

² سنن الترمذي، باب الستر على المسلم، ج4، ص34، (حديث رقم: 1426)

³ لفظ رعاية انظر مادة رعى في: الجوهري، الصحاح، ج6، ص2358. وللفظ صحة انظر مادة صحح في: الجوهري، الصحاح، ج1، ص381.

بأنها "حالة من اكتمال السلامة بدنياً وعقلياً واجتماعياً، لا مجرد انعدام المرض أو العجز".¹ فالصحة إذًا "حالة أو ملكة بها تصدر الأفعال عن موضعها سليمة"². ويتكرب المعنيين، يصبح المدلول الاصطلاحي للرعاية الصحية هو: الاهتمام، وحفظ الملكة التي تصدر الأفعال عن موضعها سليمة³.

وتستمد الرعاية الصحية في الإسلام من مختلف التوجهات والتشريعات التي وردت في القرآن والسنة النبوية المطهرة، التي تسعى إلى المحافظة على الإنسان بشكل يشمل جميع أطوار حياته ونواحي جسمه ونفسه، من أجل تحقيق مرامي الشريعة في جعل الإنسان يقوم بواجب الخلافة⁴.

فالرعاية الصحية بمفهومها العام لا تخرج من السياق العام لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"⁵.

مجالات الوقف التي تحقق مقاصد الشريعة الإسلامية:

إن الخدمات التي قدمها الوقف في المجال الصحي ارتبطت بجملة المقاصد العامة للشريعة الإسلامية؛ الضرورية (الدين، والنفس، و العقل، والمال والنسل) و الحاجية والتحسينية، وذلك بما اشتملت عليه الأوقاف من محتوى يرمي إلى تحقيق جزء مهم من تلك المقاصد.

أولاً: مجالات الوقف التي تحقق مقاصد الشريعة الضرورية:

الضَّرُورِيَّات؛ هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تستقم مصالح الدنيا، وكان الخسران وفوات النعيم في الآخرة، ومجموع الضروريات خمس (حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)⁶. والوقف من عقود التبرعات، التي تعود بالنفع على المصالح العامة والخاصة للأمة، فرغبت الشريعة الإسلامية فيها⁷.

1. الوقف وحفظ الدين: لعب الوقف دوراً مهماً في الحفاظ على الجانب الديني، من خلال إقامة المساجد والمدارس والمكتبات والزوايا والأربطة، فكان لتلك المنشآت الدينية الوقفية أثر واضح في نشر العلم والدين. ولم

¹ www.who.int/suggestions/faq/ar/

² الجرجاني، كتاب التعريفات، بيروت، 1983م، ص132.

³ بن زينة أحميدة، الرعاية الصحية للفرد في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006-2007م، ص7.

⁴ المرجع السابق، ص9-10.

⁵ صحيح مسلم، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ج4، ص2052 (حديث رقم: 2664).

⁶ الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة آل سليمان، ج2، 1997م، ص17-20.

⁷ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: حمد الحبيب بن الخوجة، ج3، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2004م، ص506.

تقتصر الأوقاف على تلك المنشآت فحسب، بل كان لها علاقة وثيقة بالجهاد في سبيل الله، فحبست الخيول والأسلحة، كما شملت الأحياس فداء الأسرى¹.

2. **الوقف وحفظ النفس:** ساهم الوقف في توفير الحياة الكريمة للفقراء والمساكين والمحتاجين والمرضى عبر التاريخ، فعمل على تلبية احتياجاتهم الأساسية من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن، وعلاج، فكان هناك الحبس على الأراضي الزراعية، والحبس على الزوايا والدور والتكايا والأربطة، والحبس على صهاريج المياه، والحبس على الرحي (الطواحين)، والحبس على أراضي وتخصيصها لدفن الموتى، والحبس على البيمارستانات...² . ولم يكن الوقف مقصوراً على النفس البشرية فقط، بل خصصت بعض الأوقاف لرعاية الحيوانات والطيور³.

3. **الوقف وحفظ العقل:** لقد اهتم الإسلام بالعقل اهتماماً كبيراً، وأعلى من قيمته ومنزلته، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بأحكام وافيه تحقق حفظ العقل من أن يدخل عليه خلل، لأن دخول الخلل على العقل مؤدّب إلى فساد عظيم من عدم انضباط التصرف⁴. وللوقف إسهامات ملموسة واضحة في تطور الحركة العلمية التي شهدتها الحضارة الإسلامية في شتى صنوف المعرفة. فكانت هناك أوقاف على مراكز التعليم (المساجد، المدارس، المكتبات....) وأوقاف أخرى على المشتغلين بالتعليم (المدرسين وطلبة العلم)⁵.

4. **الوقف وحفظ النسل:** من المقاصد المهمة في الشريعة حفظ النسل، فحفظه من الركائز الأساسية لعمارة الأرض، وبه تكمن قوة الأمة، لما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم: (**النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، وَتَزَوَّجُوا، فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ، وَمَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَتَنَكَّحْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ بِالصَّيَّامِ، فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وَجَاءٌ**)⁶، فالإسلام عني بحفظ النسل وحمائتها، وحث على ما يحصل به تكثيره واستمراره، ولتحقيق ذلك خصصت العديد من الأوقاف، فكانت هناك أوقاف على الذرية، واليتامى وأوقاف على الأراذل والمطلقات، وأوقاف لتزويج الفقيرات⁷. فكفلت الأوقاف لتلك الفئات الرعاية؛ بتلبية احتياجاتها، لتواصل دورها في الحياة.

5. **الوقف وحفظ المال:** المال نعمة وخير، فينبغي أن نحافظ عليه لنلبي به حاجياتنا الأساسية، وقد نهى الإسلام عن إضاعة المال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات وواد البنات**

¹ انظر: انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف، المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007م، ص 47-53.

² للمجالات التي شملتها الأوقاف في الحضارة الإسلامية انظر: عبد الله بن ناصر السدحان، توجيه مصارف الوقف نحو تلبية احتياجات المجتمع، بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني للأوقاف: الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية، مكة المكرمة، 2006م، ص 23-32. أيضاً: راغب السرجاني، من روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، ص 86-156.

³ مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، مصر، 1998م، ص 89.

⁴ ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ج 3، ص 238.

⁵ انظر: انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف، المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية، ص 67-84.

⁶ سنن ابن ماجه، باب ما جاء في فضل النكاح، ج 1، ص 592 (حديث رقم: 1846).

⁷ أنظر: محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، ج 1، المملكة المغربية، 1996م، ص 134. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص 98-99.

ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)¹. وفي الوقف ضمان لبقاء المال ودوام الانتفاع به والاستفادة منه مدة طويلة، و تساهم أموال الأوقاف في الإنفاق على العديد من مرافق الحياة - الدينية، والتعليمية، والصحية، والاجتماعية- بل أصبحت الممول الأساسي لبعضها². كما أن معظم المشاريع التي تقوم بدعم أوقاف توقف لصالحها تستمر في أداء رسالتها، بعكس التي تقوم دون وجود وقف مساند، حيث تتعرض للتعطل بوفاة المتكفل بها، أو انصرافه عن الاهتمام بها³.

ثانياً: مجالات الوقف التي تحقق مقاصد الشريعة الحاجية:

الحاجيات؛ وهي ما كان مُفْتَقَرًا إِلَيْهَا من حيث التوسعة ورفع الضيق⁴، وقد استطاعت مؤسسة الوقف أن تسهم في تنمية العديد من القطاعات التي تخدم فئات المجتمع المختلفة، ومن المؤسسات الوقفية نذكر: المدارس والمكتبات والبيمارستانات والتكايا والزوايا والأسبلة والخانات والفنادق للمسافرين والمنقطعين...⁵. أيضاً أسهم الوقف في تأمين وظائف للعديد من الأفراد، وبالتالي أمن احتياجات العديد من الأسر⁶.

ثالثاً: مجالات الوقف التي تحقق مقاصد الشريعة التحسينية:

عرف الإمام الشاطبي التَّحْسِينَاتُ بقوله: "الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المذنبات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك مكارم الأخلاق"⁷. ومن الأمور التي عمل الوقف على تحسينها؛ العناية بالمساجد وتزيينها، وبناء القناطر و الحدائق الوقفية، وتوفير كلفة الحج للعاجزين، كما شملت الأوقاف برعايتها الحيوانات- قطط، خيول، كلاب- إلى غير ذلك من نماذج وقفية تزخر بها الحضارة الإسلامية⁸.

البيمارستانات (المستشفيات) الوقفية ودورها في توفير الرعاية الطبية.

إن المتتبع لتاريخ الطب والمستشفيات في الإسلام، يلحظ تلازماً شبه تام بين تطور الأوقاف واتساع نطاقها وانتشارها في جميع بلاد المسلمين من جهة وبين تقدم الطب، باعتباره علم ومهنة، والتوسع في مجال الرعاية

¹ صحيح البخاري، باب ما ينهى عن إضاعة المال ، ج2، ص848 (حديث رقم:2277).

² محمود أحمد مهدي، نظام الوقف في التطبيق المعاصر، جدة، 1423هـ، ص17.

³ انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف، المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية، ص88-89.

⁴ الشاطبي، الموافقات، ج2، ، ص21.

⁵ مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص94-99.

⁶ انظر: انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف، المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية، ص90-95.

⁷ الشاطبي، الموافقات، ج2، ، ص22.

⁸ راغب السرجاني، روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، ص86 وما بعدها. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص94-99.

الصحية للمواطنين من جهة أخرى، حيث يكاد يكون الوقف هو الممول الوحيد والأول في كثير من الأحيان للإنفاق على العديد من المستشفيات، والمدارس، والمعاهد الطبية، هذا إلى جانب ما تقدمه الأوقاف من أموال تصرف على بعض الأمور المتعلقة بالنواحي الصحية، مثل الحمامات، وتوفير المياه، ورعاية العاجزين والمحتاجين¹.

نشأة وتطور البيمارستانات (المستشفيات) في الإسلام:

بِيمَارِسْتَان (بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بیمار) وتعني مريض، و(ستان) وتعني مكان؛ أي دار المرضى - مرادفها اليوم لفظ مستشفى² واختصر أهل المغرب والأندلس لفظ بيمارستان وصار عندهم مارستان³.

و البيمارستانات إحدى المنشآت العمرانية الوقفية - كالمساجد، والحصون، والزوايا- درج الخلفاء و السلاطين والأمراء وأهل البر على إنشائها والإنفاق عليها، صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية، ولم تقتصر مهمتها على مداواة المرضى فحسب بل كانت معاهد علمية ومدارس لتعلم الطب⁴.

أولاً: أنواع البيمارستانات:

اعتنى المسلمون عناية فائقة بإنشاء البيمارستانات بشقيها الثابت والمتنقل، فالثابت هو ما كان يشيد في المدن والأحياء الإسلامية، فانتشرت تلك البيمارستانات - من بغداد شرقاً إلى الأندلس غرباً - وكثرت ووصل عددها في قرطبة وحدها خمسين بيمارستاناً في القرن العاشر الميلادي⁵.

وترجع فكرة بناء البيمارستانات الثابتة إلى عهد ما قبل الميلاد، وتنسب المصادر العربية القديمة بناء أول مستشفى ثابت في التاريخ إلى أبقراط-أبو الطب عند اليونان-، وذلك عندما خصص جزءاً من بستانه جمع فيه المرضى وقدم لهم الرعاية الصحية، وسماه "أخسندوكين" أي مجمع المرضى⁶. ويعتبر بيمارستان جنديسابور - في بلاد فارس- النموذج الأول الذي بنيت على نمطه أوائل المستشفيات في الدولة الإسلامية قبل أن تطور وترتقي.

¹ أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي، كتاب الأمة، العدد 119، 1428م، قطر، ص70.

² للفظ بيمارستان انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، ص47. الجوهري، الصحاح، ج3، بيروت، 1987م، ص978. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص79.

³ انظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، القاهرة، 1974م ص50. ابن أبي زرع، الأنيب المطرب، 1972م، ص217.

⁴ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دمشق، 1939، ص3-4.

⁵ زغريدة هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية على أوروبا"، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، فاروق دسوقي، الطبعة الثامنة، بيروت، 1993م، ص228-229.

⁶ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص47. أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية، ص78.

ويرجع المقريري بناء أول بيمارستان إسلامي إلى عصر الوليد بن عبد الملك سنة 88هـ¹، وهناك من يرجعه إلى عصر هارون الرشيد-خامس خلفاء بني العباس- وأواخر القرن الثاني الهجري (أوائل الثامن الميلادي) باعتباره أول مستشفى عام به جميع التخصصات المعروفة، أمر بتشيد هارون الرشيد في مدينة بغداد وأوكل الإشراف عليه وتنظيمه إلى طبيبه الخاص جبرائيل بن بختيشوع².

أما المتنقل من البيمارستانات فهو الذي يحمل من مكان إلى آخر، وذلك بحسب الظروف والأمراض وأماكن انتشار الأوبئة وكذلك ظروف الحرب، ويعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم أول من أقام بيمارستاناً حربياً، وذلك في غزوة الخندق، فلما أصيب سعد بن معاذ في أكحله، قال صلى الله عليه وسلم لقومه: "اجعلوه في خيمة رفيدة"³، حتى أعوده من قريب"⁴.

ولعل تلك الخيمة كانت أول بيمارستان حربي متنقل في الإسلام، ثم توسع فيه الخلفاء والأمراء - فيما بعد- حتى أصبح البيمارستان المتنقل مجهزاً بجميع ما يحتاجه المرضى، من علاج وأطعمه وأشربه وملابس وأطباء وصيادلة، وقد بلغ بعض هذه المستشفيات المتنقلة حداً من الضخامة بحيث كان يحمل على أربعين جملاً⁵.

ثانياً: عمارة البيمارستانات:

شهد نظام عمارة البيمارستانات - على مر عصور التاريخ الإسلامي- تطوراً ملحوظاً، طبعها بطابع خاص يتمثل في:

1. اختيار الموقع:

إن اختيار الموقع المناسب لبناء البيمارستانات، يعد من الأمور المهمة التي أولاهها المسلمون اهتماماً كبيراً، فراعوا في الموقع توفر الهواء النقي، ولقد ورد أن الرازي⁶ عندما استشاره السلطان عضد الدولة البويهي في الموضوع الذي يجب أن يبني فيه البيمارستان العضدي، أمر -أي الرازي- بوضع قطع من اللحم في أماكن مختلفة من مدينة بغداد، ووقع الاختيار على الموقع الذي لم يتغير فيه اللحم بسرعة⁷. وبنفس هذه الطريقة اختير موضع بناء البيمارستان النوري في حلب⁸.

¹ المقريري، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج4، بيروت، 1418هـ، ص 267.

² أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية، ص 79-80. أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص 178.

³ رفيدة الأنصارية أو الأسملية: صحابية جلييلة كانت لها خيمة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم تداوي فيها الجرحى. انظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، بيروت، 1415هـ، ص 136.

⁴ ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، الطبعة الثانية، ج2، مصر، ص 239. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ص 107.

⁵ مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، القاهرة، 1998م، ص 107-108.

⁶ أبو بكر مُحَمَّد بن زَكْرِيَّا الرَّازِي (250-320هـ/864م-933م): من مشاهير الأطباء المسلمين في العصور الوسطى، له العديد من المؤلفات أهمها كتاب "الهاوي". تاج السر حران، العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، الرياض، 2004م، ص 70-72.

⁷ انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1، ص 415.

⁸ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات، ص 224.

أيضا راعوا في الموقع المساحة الواسعة، وقربه من الأنهار ومصادر المياه، وذلك حرصاً لإيصال الماء الجاري إلى جميع أنحاء البيمارستان، فالبيمارستان المراكشي الذي بناه يعقوب بن يوسف الموحدى تخير لبنائه ساحة فسيحة في أحسن موضع، وأمر أن تغرس فيه الأشجار، وأجرى فيه مياهاً كثيرة، زيادة على أربع برك¹. وهذا ما كان من شأن مارستان غرناطة أيضاً؛ ساحة عريضة، وهواء طيب، ومياه متدفقة، وانسدال الأشجار².

2. التخطيط والتصميم:

لا تسعفنا المصادر الإسلامية بمعلومات وافية عن طبيعة تخطيط وتصميم المارستانات المغربية والأندلسية، فمن خلال ما توفر من معلومات وبخاصة تلك التي تعقد مقارنة بين مارستانات المشرق والمغرب نخلص إلى أن تخطيط وتصميم مارستانات بلاد المغرب والأندلس لم يختلف عن نظيرتها في المشرق الإسلامي، ومن ثم كان المخطط الأساسي يحتوي على:

1. قسم خاص لعلاج الرجال، وآخر لعلاج النساء، حيث احتوى كل قسم على عدد من القاعات للأمراض المختلفة.
2. بيت للأشربة والمعاجين الطبية (صيدلية)، تحضر فيها الأدوية وتحفظ.
3. مطبخ لإعداد الطعام للمرضى.
4. غرف لرئيس الأطباء وبقية الإداريين.
5. قاعة محاضرات يلقي فيها الدرس ويجتمع فيها التلاميذ.
6. مصلى (مسجد).
7. حمامات ومتوضآت.
8. مكان لغسل الموتى.
9. مكتبة.
10. باحات وأفنية وحدائق تحتوي على مختلف الأشجار من المشمومات والمأكولات³.

ثالثاً: إدارة البيمارستانات وأنظمتها العلاجية:

لم نقف على معلومات كافية توضح لنا النظام الإداري السائد في مارستانات المغرب والأندلس وما وقفنا عليه يفيد بارتباط الأشراف الإداري العام للبيمارستان بمدير يعاونه عدد من المساعدين، تحت مراقبة ناظر الأحباس المشرف على إدارة الأموال والأوقاف المخصصة للمارستان وعلى سلامة المباني واحتياجاته وسير العمل

¹ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، بيروت، 2006م، ص 209.

² ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 2، ص 50-51.

³ حول تخطيط وتصميم المارستانات المغربية والأندلسية انظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 209. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 2، ص 50-52. أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي، ص 93-94.

فيه¹. وإلى جانب الفريق الطبي المكون من الأطباء والصيادلة والمرضى، ضم الممارستان موظفين آخرين: كتاب، طباطباخين، حراس، وغيرهم ممن يهتمون بالمرضى².

وفيما يختص بالنظام العلاجي كفلت البيمارستانات مجانية العلاج للمرضى عامة: الفقير والغني، المقيم والغريب، حيث خصصت لهم قاعات يوزعوا عليها على حسب التخصصات الطبية، وخصص لكل قسم طبيب، وكان رئيس الأطباء يدور على المرضى يتفقد أحوالهم ومعه معاونيه من أطباء وطلاب، فكل ما يكتب للمريض من علاج وغذاء يصرف له دون أي تأخير³. ولم تقتصر البيمارستانات على تقديم العلاج فحسب بل اهتمت بأوضاع المرضى بعد شفائهم وخروجهم من الممارستان حيث خصصت مبالغ مالية للمرضى الفقراء وهم في فترة النقاهة⁴.

ولم تقتصر عناية الحكام المسلمين ببناء الممارستانات، والإنفاق عليها وتوفير العلاج لفئات المجتمع المختلفة فحسب، بل شملت عنايتهم تنظيم مهنة الطب أيضاً؛ حفاظاً على صحة الإنسان وحمايةً لمهنة الطب من المشعوذين وغير المؤهلين والمدعين له، فكان للأطباء رئيس عرف باسم "المزوار" - في عهد الموحدين- يراقبهم وينظم أعمالهم، ويصرح لهم بمزاولة مهنة الطب، ويتقبل شكاوى العامة، يختاره الخليفة من بين أكثر الأطباء مهارة وتجربة⁵.

البيمارستانات في المغرب والأندلس:

على غرار بلدان المشرق الإسلامي عرفت بلاد المغرب والأندلس البيمارستانات، وأهتم أهلها- حكاماً ومحكومين- ببنائها وتطوير أساليب عملها، وخصصوا لها أوقاف لترميمها وإطعام المرضى وتوفير الأدوية لهم وصرف رواتب الأطباء، ولم تقتصر تلك البيمارستانات على تقديم الخدمات العلاجية للمرضى فحسب، بل كانت مدارس ومعاهد للتجارب الطبية والصيدلية، و ملاجئ لعلاج الطيور والحيوانات المصابة، ولم تقتصر العناية في الممارستانات على الفقراء دون الأغنياء بل كانت تستقبل حتى الغريباء، ومن تلك الممارستانات نذكر:

¹ حول النظام الإداري انظر: البشير بنجلون، تاريخ البيمارستانات في المغرب، المجلة الصحية المغربية، عدد3، أكتوبر2012م، ص50. شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج، المجلة الصحية المغربية، عدد4، أبريل2013، ص49.

² انظر: الحسن الوزان، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، الطبعة الثانية، ج1، بيروت، 1983م، ص229.

³ البشير بنجلون، تاريخ البيمارستانات في المغرب، ص50.

⁴ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص209-210.

⁵ البشير بنجلون، بيمارستان مراكش، المجلة الصحية المغربية، عدد6، ديسمبر2013م، ص45.

1. مارستان مراكش:

يعتبر مارستان مراكش من أهم البيمارستانات العامة التي نشأت في المغرب، وأكثرها شهرة، أسسه الخليفة أبو يوسف يعقوب الموحد (580هـ-595هـ)¹، و أولاه عنايته واهتمامه من حيث البناء والتصميم وتوفير كل مستلزماته من فرش و أثاث ومعدات وأدوية وطعام، وكساء للمرضى - ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً - ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل وعولج فيه².

وبلغ من عناية الخليفة به أنه كان يتفقد نزلاء المارستان ويزورهم كل جمعة بعد صلاته، يسأل عن

حاليهم، وعن مستوى الخدمة الطبية المقدمة لهم، وظل الخليفة يعود مرضى المارستان إلى أن توفاه الله³.

ولعل من أهم مظاهر التنظيم الطبي في المارستان؛ وجود قسم خاص لتحضير الدواء من أشربة وأكحال وأدهان وغيرها تصنع وتحفظ فيه على الدوام، إلى جانب الأدوية التي تجلب إليه، ولتحقيق مجانية العلاج خصصت الدولة أموالاً لتلبية احتياجات هذا القسم؛ مثل مرتبات الصيادلة و متطلبات صنع الدواء⁴.

2. مارستان فاس (سيدي فرج):

يقع المارستان وسط مدينة فاس بين سوق العطارين وسوق الحناء، وهو من المارستانات المهمة التي نشأت في القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي - أسسه السلطان المريني أبو يعقوب يوسف بن يعقوب (685-706هـ/1286-1306م) سنة 685هـ/1286م، وجدده السلطان أبو عنان (749-759هـ/1348-1358م) وأدخل عليه زيادات. وترجع تسمية مارستان فاس بمارستان سيدي فرج إلى؛ طبيب أندلسي من النازحين من بني الأحمر اسمه فرج الخزرجي، تولى سنة 900هـ رئاسة المارستان، وهو صاحب فكرة العلاج النفسي بالموسيقى⁵.

يتكون المارستان من طابقين أرضي و يضم ثماني عشرة غرفة خاصة بعلاج الرجال، وطابق علوي و به اثنتان وعشرون غرفة خاصة بالنساء، هذا إلى جانب الحديقة المخصصة استراحة للمرضى ولإقامة عروض الموسيقى الأندلسية الأسبوعية للترويح عنهم. وقد كفل المارستان العلاج لجميع المرضى، إذ ضم عدداً من

¹ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص216-217. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والمرينية، الطبعة الثانية، تونس، 1966، ص15-17.

² عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص209-210.

³ عبد الواحد المراكشي، المرجع السابق، ص210.

⁴ البشير بنجلون، بيمارستان مراكش، المجلة الصحية المغربية، عدد 6، ديسمبر 2013م، ص45.

⁵ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص285-287. شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج، ص49-50.

التخصصات الطبية – كالطب الباطني، جراحة العظام، طب العيون، الطب النفسي، واقتصر - فيما بعد- على علاج الأمراض النفسية والعقلية¹.

ولضمان استمرارية وجودة خدمات المارستان الطبية، خصصت الدولة أموالاً تصرف عليه من خزينتها مباشرة، هذا إلى جانب الأوقاف التي حبست عليه من قبل سلاطين بني مرين ومن هبات وتبرعات المحسنين، فمن أوقاف المارستان تم الصرف على الفقراء الذين يغادرون المارستان إلى أن تتحسن أوضاعهم المادية، وعلى أصحاب الإعاقات والأمراض المزمنة، وعلى الذين يعزفون الموسيقى، وعلى الغرباء الذين يموتون، فيتم تغسيلهم وتكفينهم ودفنهم.

وإلى جانب علاج الإنسان كان المارستان بمثابة عيادة طبية للطيور وبخاصة طائر اللقلق، فخصصت أوقاف لعلاجها تصرف على من يقوم بمداواتها وإطعامها وتقديم الرعاية لها².

و استمر المارستان في أداء مهامه كمارستان عام ضم جميع التخصصات حتى القرن السادس عشر الميلادي، ثم اقتصر على علاج الأمراض النفسية إلى حدود منتصف القرن العشرين، ومن ثم حول إلى مكان لبيع الملابس والأدوات المنزلية (قيسارية) وهو وضعه الحالي³.



مارستان سيدي فرج بعد أن حول إلى قيسارية⁴

¹ انظر: الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج1، ص228. شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج، ص50.
² شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج، ص49-50. البشير بنجلون، تاريخ البيمارستانات في المغرب، ص49.
³ شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج، ص50.

⁴ <https://www.hespress.com/regions/414169.html>

3. مارستان سلا (سيدي عاشور):

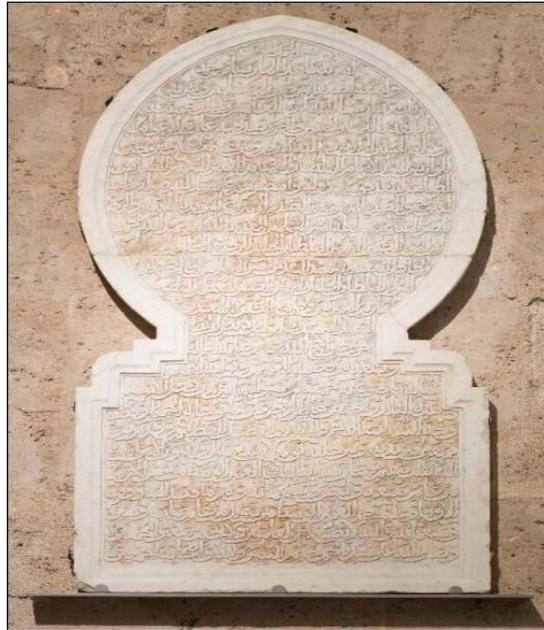
أسسه الطبيب أحمد بن محمد بن عاشور الأنصاري، في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، في مدينة سلا¹.

4. مارستان محمد الغازي:

في مدينة الرباط أسسه السلطان عبد العزيز المريني، وهو من الممارسات الخاصة بعلاج المجانين².

5. مارستان غرناطة:

أسسه السلطان محمد الخامس الغني بالله سنة 767هـ-768هـ، لضعفاء مرضى المسلمين، ووقف الأوقاف عليه، وقد خلد ذكرى بناء هذا المارستان في لوح رخامي كتبت عليه كتابة بالخط العادي الأندلسي، واحتوى اللوح الرخامي على معلومات توضح تواريخ ومدة البناء، كما حدد النص المنتفعين منه، هذا إلى جانب عبارات كثيرة تجزل الثناء للسلطان، وتؤكد على أسبقيته لبناء مارستان لم تشهد الأندلس مثله منذ فتحها³.



اللوح الرخامي: ذكرى إنشاء مارستان غرناطة⁴

¹ البشير بنجلون، تاريخ البيمارستانات في المغرب، ص 49.

² نفسه.

³ أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص 290-292.

⁴ <http://lastresgranadas.blogspot.com/2011/12/el-maristan-de-granada.html>

وفي مؤلف ابن الخطيب "الإحاطة" وصف عام لهذا المارستان، والذي يسمه بالمارستان الأعظم، لما يحتويه من مساحة واسعة ومساكن عديدة وجريان للمياه، وانسدال للأشجار¹، وقد ضم مركز المارستان باحة داخلية بها حوض عميق تصب فيه عينان كل عين تمثل أسد جاث، وبعد سقوط غرناطة سنة 1492م، في يد النصارى الأسباب حول المارستان إلى دار ضرب السكة، ثم حدثت فيه تغيرات عديدة، وتهدم معظمه².

دور البيمارستانات الوقفية والمعاهد الطبية في تطور علم الطب:

تعد البيمارستانات الوقفية- في المشرق والمغرب- والمدارس الطبية، و عناية الحكام المسلمين بالأطباء - ودعمهم للنشاط العلمي في كافة المجالات وبخاصة المجال الطبي- من العوامل المهمة التي أسهمت في تطور وانتعاش علم الطب، ومن ثم نبوغ أطباء برعوا في التطبيب والتصنيف.

فعلى مر عصور التاريخ الإسلامي لعبت البيمارستانات دوراً مهماً في تدريس الطب والاهتمام به - هذا إلى جانب دورها في معالجة المرضى- وذلك أن خصص في البيمارستان قسماً لتدريس الطب، تلقى فيه الدروس النظرية والعملية للطلاب، وأوكلت مهمة الأشراف العام على العملية التعليمية-النظرية والتطبيقية- إلى رئيس الأطباء، يعاونه رؤساء الأقسام المتخصصة. وألحق بالمارستان مكتبة طبية لتوفير الكتب الطبية³.

وإلى جانب المدارس الملحقة بالبيمارستانات، كانت هناك مدارس طبية متخصصة أنشأها المسلمون، ولعل من أشهرها المدرسة الدخوارية في دمشق، أسسها الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف بدخوار، سنة 628هـ/1230م، وأوقف عليها الضياع وعدة أماكن، للإنفاق على مصالحتها⁴. ومن المدارس التي أسسها الحكام المسلمون وضمت أقساماً عدة من بينها الطب المدرسة المستنصرية في بغداد؛ أسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة 633هـ/1235م⁵، والمدرسة العنانية في فاس، والتي أسسها السلطان المريني أبو عنان⁶.

¹ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص50-51.

² أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص299. مثنى فليفل سلمان، همسة صالح عبد القادر، الخدمات العامة في مملكة غرناطة، مجلة الأستاذ، العدد 213، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2015م، ص172.

³ أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية، ص136-137.

⁴ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص733. أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص40-41.

⁵ مؤمن أنيس عبد الله البابا، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين، 2009، ص160-161.

⁶ السلاوي، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج3، الدار البيضاء، 1954م، ص206.

لم تقتصر عناية الحكام المسلمين بإنشاء البيمارستانات والمدارس الطبية فحسب، بل اهتموا بالطب وأهله؛ فاستقطبوا الأطباء إلى بلاطهم، واعتنوا بتصانيفهم، حتى بعد مماتهم فهذا ما كان من شأن مصنفات أبي العلاء (ت:525هـ/1131م)¹، أمر بجمعها أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين المرابطي (477-537هـ/1084-1143م)- من سائر مدن المغرب والأندلس- وتم نسخها سنة 526هـ².

و من عناية الحكام المسلمين بعلم الطب أيضاً: اهتمامهم بترجمة كتب اليونان الطبية، وبذلوا من أجل ترجمتها أموالاً جليلية، هذا إلى جانب حرصهم على جمع مختلف المصنفات الطبية في مكتبات وقفية كفلت الاطلاع للجميع. ولعل من أهم إسهاماتهم في تطور مهنة الطب، تنظيمهم لها وتطهيرها من الكهنة والدجالين والمشعوذين وأدعياء الطب³.

خاتمة:

اهتم الإسلام بصحة الإنسان، وذكر بأهميتها وعظيم شأنها، قال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرِّهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"⁴. وقد تنوعت مظاهر اهتمام الإسلام بصحة الإنسان، والمحافظة عليها، جسدياً، وعقلياً، ونفسياً، كما تعددت التشريعات الإسلامية التي من شأنها أن تعين المسلم ليحظى بالصحة الجسدية والنفسية ومن ثم يقوى على عبادة الله ليكون قادراً لعمارة الأرض.

ولعل الوقف من التشريعات الإسلامية المهمة التي تهدف إلى تلبية ضروريات الحياة بما يصلح الدنيا والدين، وبما يوفر الحياة الكريمة ومتطلباتها وضرورتها، وعلى مر عصور التاريخ الإسلامي كان المؤسسة الوقف دور إيجابي بارز في تنمية مجالات الحياة المختلفة وخاصة المجال الصحي. ومن ثم فقد حاولنا في هذا البحث التعريف بالوقف ومفهومه في الإسلام، ودوره في تحقيق الرعاية الصحية، وخلصنا إلى:

* إن الوقف تشريع إسلامي أصيل، استمد مشروعيته من الكتاب والسنة والإجماع، وهو سمة من سمات المجتمع الإسلامي، وأحد أنظمتها التكافلية الاجتماعية المهمة.

¹ زهر بن أبي مَرْوَانَ عبد الملك: فيلسوف وطبيب أندلسي من بني أياد، تتلمذ على يديه عدد غير قليل من الأطباء، له العديد من المصنفات الطبية: (الطرر) في الطب، و (الخواص) و (الأدوية المفردة)... الخ. انظر: الزركلي، الأعلام، الطبعة الخامسة، ج3، بيروت، 1980م، ص50.

² ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص519.

³ أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية، ص140.

⁴ سنن ابن ماجة، باب القناعة، ج2، ص1387، (حديث رقم: 4141)

* كفلت الشريعة الإسلامية الرعاية الصحية للإنسان، من خلال مقاصدها الضرورية (الدين، والنفس، العقل، المال والنسل) و الحاجة والتحسينية، وهذه المقاصد الثلاثة كان للوقف دور بارز وإيجابي فيها. إن الرعاية الصحية من الضروريات اللازمة لحفظ النفس البشرية، ومن ثم فقد حقق الوقف بمؤسساته الخدمية المختلفة - التي وفرت المأكل والمشرب والمسكن والتعليم والعلاج- مقصداً مهماً من مقاصد الشريعة الإسلامية.

* كان الوقف هو الداعم الأساسي لصحة الإنسان؛ وقائياً بتلبية احتياجاته وهو صحيح، وعلاجياً بتوفير العلاج والدواء وهو مريض.

* إن البيمارستانات منشآت عمرانية - كالمساجد والتكايا والمدارس والحصون- شيدها المسلمون وعملوا على تطويرها وبذلوا الكثير من الأوقاف عليها، وكان من ثمارها أن تطور علم الطب عند المسلمين.

* أسهم الوقف في رعاية المرضى اجتماعياً، وذلك بتوفير مخصصات مالية أثناء مرضهم لتعين أسرهم وبعد شفائهم حتى لا يضطروا للعمل وهم في فترة النقاهة.

* لم تقتصر رعاية المرضى على ما يحتاجونه من العلاج البدني فحسب، بل تعدى ذلك إلى العلاج النفسي، فخصصت أوقاف للترويج عنهم ورفع معنوياتهم، لما لذلك من أثر طيب من شأنه أن يساهم في شفائهم ومعافاتهم.

* أسهمت البيمارستانات الوقفية في النهوض بعلم الطب وتطوره، فهي لم تكن أماكن للعلاج فقط، بل ألحقت بها قاعات للتدريس وإلقاء المحاضرات على الطلبة، كما أتاحت للطلبة فرصة التدريب العملي.

* استمر عطاء الوقف المخصص للبيمارستانات والمرضى في ظل الحضارة الإسلامية لسنين عديدة، وفر العلاج للمرضى، ولبى احتياجاتهم، ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى تفعيل دور الوقف الصحي في مجتمعاتنا المعاصرة، وخاصة أن كثيراً من المرضى المعوزين أصبحوا لا يملكون ثمن العلاج و الدواء، في الوقت الذي لا يملكون فيه قوت يومهم.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1. أحمد عوف عبد الرحمن، أوقاف الرعاية الصحية في المجتمع الإسلامي، كتاب الأمة، العدد 119، 1428م، قطر.
2. أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دمشق، 1939م.
3. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، (د.ت).

4. عبد الله بن ناصر السدحان، توجيه مصارف الوقف نحو تلبية احتياجات المجتمع، بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني للأوقاف: الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية/ مكة المكرمة 2006م/1427م.
5. انتصار عبد الجبار مصطفى اليوسف، المقاصد التشريعية للأوقاف الإسلامية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2007م.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط3، بيروت، 1987م.
7. البشير بنجلون، تاريخ البيمارستانات في المغرب، المجلة الصحية المغربية، عدد3، أكتوبر 2012.
8. ،، بيمارستان مراكش، المجلة الصحية المغربية، عدد6، ديسمبر 2013م.
9. بن زبطة أحميدة، الرعاية الصحية للفرد في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006-2007م.
10. تاج السر حران، العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، الرياض، 2004م.
11. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
12. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، بيروت، 1983م.
13. حسن الوراكلي، الأحباس العلمية عند المغاربة والأندلسيين. مؤتمر: أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية، جامعة الشارقة / 9 - 10 مايو 2011م.
14. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، القاهرة، 1974م.
15. الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، بيروت، 1983م.
16. الزركلي، خير الدين، الأعلام، الطبعة الخامسة، ج3، بيروت، 1980م.
17. زغريدة هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية على أوروبا"، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، فاروق دسوقي، الطبعة الثامنة، بيروت، 1993م.
18. الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبدة آل سليمان، ج2، 1997م.
19. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1972م.
20. ،، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، (د.ت.م.ن).
21. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والمرينية، الطبعة الثانية، تونس، 1966.
22. السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، الدار البيضاء، 1954م.
23. شكيب عبد الفتاح، بيمارستان سيدي فرج بفاس، المجلة الصحية المغربية، عدد4، أبريل 2013م.

24. ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: حمد الحبيب بن الخوجة، ج3، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2004م.
25. العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج8، بيروت، 1415هـ.
26. عبد القادر ربوح، الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006م.
27. مثنى فليفل سلمان، همسة صالح عبد القادر، الخدمات العامة في مملكة غرناطة، مجلة الأستاذ، العدد 213، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2015م.
28. المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج4، بيروت، 1418هـ.
29. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد، سنن ابن ماجة، (د.ت).
30. محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، ج1، المملكة المغربية، 1996م.
31. محمد صالح سلطان، الوقف الصحي: رؤية مقاصدية تطبيقية، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، 2017م.
32. محمود أحمد مهدي، نظام الوقف في التطبيق المعاصر، جدة، 1423هـ.
33. مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، (ت:216هـ)، صحيح مسلم، بيروت، (د.ت).
34. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، القاهرة، 1998م.
35. ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، الطبعة الثانية، ج2، مصر، 1955م.
36. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، بيروت، 2006م.
37. مؤمن أنيس عبد الله البابا، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين، 2009م.